

الفصل الخامس

حقوق الوالدين

- قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ .
- قال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، قالوا بلى يا رسول الله، قال: الإشراف بالله وعقوق الوالدين» .
- قال الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود: «يجب أن يعلم كل فرد أن كل جماعة لا يكون لها عاقلة لا تجد الراحة والهناء وعاقلة كل عائلة الوالدين» .
- يقول الصحفي الأمريكي جاري واندر GARY WANDER: «من خلال معاشتي للمسلمين اكتشفت العلاقة الرائعة بين أفراد الأسرة المسلمة، وتعرفت كيف يعامل الآباء المسلمون أبناءهم، وعرفت العلاقة الوثيقة التي تربط أفراد الأسرة المسلمة» .

حقوق الوالدين

لوعدنا قليلاً إلى موضوع حقوق الإنسان قبل الميلاد لتتذكر أن المكلفين بأداء تلك الحقوق هم الزوج والزوجة أي الوالدان. فكما أوجب الإسلام على الوالدين أداء حقوق أبنائهم قبل ميلادهم وخلال حياتهم، فقد أوجب أيضاً على الأولاد واجبات تؤدي نحو والديهم التي هي جزء من حقوقهما، فالوالدان هما من بني جلدة الإنسان من البشر من عباد الله وخلقه وحقوقهم كبيرة وواجباتهم متعددة، ولقد نقص تضمين الإعلان العالمي لحقوق الإنسان حقوق أناس أدوا حقوق غيرهم فَنُسِيتَ حقوقهم وهما الوالدان خصوصاً عندما يبلغان الكبر ويكونان في حاجة إلى رعاية أولادهم وليس رعايتهم في دور المسنين والكبار، ورعاية الأبوين عند كبر سنهم من أسس مبادئ السلوك الإنساني وهو واجب إسلامي وحق إنساني، وهذا هو الفرق بين نظرة الإسلام إلى الوالدين ونظرة القوانين الوضعية والشرائع الزائفة إليهما. ولهذا نصت المادة السابعة من إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الإسلام على ما يلي: « للأبوين على الأبناء حقوقهما ولالأقارب حق على ذويهم وفق الشريعة الإسلامية»، ولهذا لا يقال أن الحديث عن حقوق الأبوين ضمن المبادئ الحقوقية الإنسانية لا يمكن أفرادها أو تخصيصه ضمن جملة الحقوق في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، لأن تلك الحقوق وضعها أو تركها لا يترتب على الإخلال بها مساءلة دنيوية وبالتالي عقوبة نظامية، قد يكون هذا صحيح من البعد الفكري العلماني والنظرة الفكرية القاصرة وليس الأمر كذلك في الرؤية الإسلامية، ثم ماذا يقال عما استدركته النظرة الحقوقية في المفوضية السامية لحقوق الإنسان عندما أعدت خطة لرعاية المسنين ووقعت الجمعية العامة للأمم المتحدة عليها عام ١٩٩١م وعرفت: «مبادئ هيئة الأمم المتحدة لكبار السن» مما سنتحدث عنه لاحقاً في الفصل التاسع من هذه الموسوعة، فالمسنون في تلك المبادئ معظمهم آباء وأمهات

وإن نظر إليهما على أنهما مسنين فذاك لا يسقط عنهما صفة الأبوة والأمومة، بل أن الفقرة الخامسة من دياجة العهدين الدوليين لحقوق الإنسان المدنية والسياسية أشارت بصورة غير عامة مختصرة إلى حقوق الوالدين مما جاء ذكره في الفقرة الأولى من المادة التاسعة والعشرون من ميثاق هيئة الأمم المتحدة والتي تنص على واجبات الإنسان نحو والديه : « كما أن عليه احترام والديه في كل وقت وإطعامهما ومساعدتهما عند الحاجة»، ولكن كل هذه الأفكار لم تفسر حقيقة الحفاظ على حقوق الأبوين وبرهما مما هو مبين في التنظيم الحقوقي الإسلامي الذي يشير إلي المساءلة الدنيوية والعقوبة الأخروية، **وإننا في هذه الموسوعة وفي هذا الباب وفي غيره لا نتحدث عن مفهوم حقوق الإنسان على العموم من وجهة النظر العلمانية، بل نتحدث عن حقوق الإنسان في الإسلام، وهذا يسقط حجة القائل بأن الحديث عن حقوق الوالدين لا يتفق مع التعريفات المعروفة والمشهورة عن حقوق الإنسان ، فهل يغفل الحق الكامل في الإسلام لأخذ جزئية الحق في غيره؟ وأنه لخطأ فاحش أن يقال أن الحديث عن حقوق الوالدين لا يتمثل في الثواب الذي ينشده الإنسان من برهما ، إن الأمر في الإسلام أكثر من ذلك لوجود المساءلة والعقوبة الدنيوية وكذا العقوبة الأخروية، فلو سب شخص مثلاً والد شخص آخر عزّر الشاتم ففي ذلك مساءلة وعقوبة دنيوية ، ولو فرط ابن في حياة والده أو والدته وتسبب في وفاتهما ولو خطأ إهمالاً منه حرم الإرث فهذا فيه مساءلة وعقوبة، كل ذلك لعظم منزلة الأبوين كما جاء في الحديث قوله ﷺ : « لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتره فيعتقه» ، وكذا ما ورد في الحديث الذي سأل فيه السائل الذي كان يحمل أمه في الطواف فقال للنبي ﷺ : **«لعلني أدبت حقها؟ قال ولا بزفرة واحدة»**^(١)، فورود كلمة (حق) دل على ثبوته نصاً وحكماً، وسوف تسألون، فمساءلة الضمير أشد من مساءلة القانون وعقوبته، وتعاليم الإسلام إنما هي قيم إنسانية وتشريعات إسلامية قبل أن تكون قواعد عقاب وثواب، ولعل قراءة واعية متبصرة من بُعد**

حقوقى وفقه وفهم آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي الرؤوف الرحيم في هذا المبحث ستؤدي إلى بيان أهمية تضمين الإعلان العالمي لحقوق الإنسان حقوق الوالدين، وأن انتهاك تلك الحقوق في الإسلام يترتب عليها مساءلة نظامية وعقوبة جزائية من رب العالمين، فأيهما أعظم عقوبة القانون أم عقوبة الله رب واضعي القانون ورب العاق الذي تعجل له عقوبة عقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من عقاب؟ وقد أدرك الكاتب والصحفي الأمريكي Gary Wander مكانة الوالدين في الإسلام وعبر عن ذلك بقوله: « من خلال معاشتي للمسلمين اكتشفت العلاقة الرائعة بين أفراد الأسرة المسلمة، وتعرفت كيف يعامل الآباء المسلمون أبناءهم ، وعرفت العلاقة الوثيقة التي تربط أفراد الأسرة المسلمة»^(٣)، ثم إن الحديث عن حقوق الطفل جزئية تستلزم إكمال بيان حقوق من تسببوا في وجود هذا الطفل بعد الله عز وجل فالطفل وأبواه طرفين في معادلة واحدة.

والوالدان عند كثير من الناس لا يعتبران إلا آلة أو أداة للإنجاب ووسيلة للتربية والتعليم لولدهما من ساعة ميلاده حتى بلوغه سن الرشد أو سن البلوغ، ثم يتوقف أداء هذه الآلة وتنقطع حبال الصلة والوصل العائلي والاجتماعي بين الأولاد والديهم، (تلك الصلة التي أقامها الإسلام وأمر باستمراريتها حتى الممات صلة تقوم على المودة والرحمة والمحبة والرأفة والرعاية الإنسانية)، فتأخذ صورة الوصل والصلة بين الوالدين والأولاد كفاية بطاقات التهتهة في الاعياد والمناسبات أو عبر الرسائل البريدية أو الالكترونية أو خلال المحادثات الهاتفية، وانقطاع صلة الأبناء بالآباء سببه إفرازات الحضارة المادية التي فصلت الدين عن الدنيا أو فصلت الدين عن الدولة، وهذه الإفرازات وجدت سبيلها وانعكاساتها عند إعداد مشروع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان من منظورها العلماني وفكرها المادي فجاء النقص بيناً في عدم إظهار حقوق الوالدين والإهتمام بها ضمن مواد الإعلان لأن رعاية المسنين ومنهم الوالدين في كثير من الدول هي من مسؤولية الحكومات فحسب .

والأمر على العكس في دين الإسلام، إذ يؤمن المسلم بحق الوالدين عليه وواجب برهما وطاعتهما والإحسان إليهما لا لكونهما سبب وجوده فحسب ، أو لكونهما قدما له من الجميل والمعروف ما وجب معه مكافأتهما بالمثل ، بل لأن الله عز وجل أوجب طاعتهما ، وكتب على الولد برهما والإحسان إليهما حتى قرن ذلك بحقه الواجب له من عبادته وحده دون غيره، فقال عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾^(٣)، إن هذه الآيات الكريمة تلقي الضوء على حقوق الإنسان ذكراً كان أم أنثى رجلاً كان أم امرأة، وقمة هذه الحقوق توجت في أصل الإنسان وهما الأبوين بعد حقوق الله عز وجل وحقوق أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، وهي أصل الحقوق الانسانية التي تنفرع منها بقية الحقوق الأخرى، فمعرفة حقوق الوالدين كما حددت في المرجعية الإسلامية في القرآن الكريم وأقوال الرسول الرؤوف الرحيم محمد ﷺ تجعلنا نمنع النظر في تلك النواقص التي كان من المهم وضعها ضمن مواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وإظهارها وبيانها والاحتفاء بها، لقد ابتدأ المولى جل وعلا الآيات السابقات وربط أهمية توحيد بالالهوية وتفرد بالعبادة بواجب بر الوالدين فهو أمر بتوحيد المعبود بعد النهي عن الشرك، إنه أمر في صورة قضاء، فهو أمر حتمي حتمية القضاء يفيد النفي والاستثناء بقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾، فتبدو في جو التعبير كله ظلال التوكيد والتشديد، فبعد قاعدة الأساس وهي التوحيد تأتي أمور التكليف الشرعية، فالرابطة الأولى بعد رابطة العقيدة والتوحيد هي رابطة الأسرة، ونواتها الوالدين وما لهما من حقوق، ولهذا قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا، وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾، فيستجيش القرآن الكريم وجدان البر والرحمة في قلوب الأبناء ، ذلك أن الحياة وهي مندفعة في طريقها بالإحياء،

توجه اهتمامهم القوي إلى الأمام إلى الذرية، إلى الناشئة الجديدة ، إلى الجيل المقبل فتحرك وجدانها بقوة لتعطف إلى الخلف ، وتلتفت إلى الآباء والأمهات^(٤).

إن الوالدين يندفعان بالفطرة إلى رعاية الأولاد، إلى التضحية بكل شيء حتى بالنفس والنفيس وهما سعيدان ، أما الأولاد فسرعان ما ينسون هذا كله، ويندفعون بدورهم إلى الأمام إلى الزوجات والذرية. وهكذا تندفع الحياة ومن ثم لا يحتاج الآباء إلى توصية بالأبناء، وهنا يجيء الأمر بالإحسان إلى الوالدين في صورة قضاء من الله يحمل معنى الأمر المؤكد، بعد التأكيد على عبادة الله وحده، ثم ينظر المتأمل جو الآيات الكريمت وما يحمله من رقيق المعاني بذكريات الطفولة ومشاعر الحب والعطف والحنان فيقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَلْتَمِسُ بَعْدَكَ الْكَبِيرَ أَحَدُهُمَا﴾ ، والكبر له جلاله ، وضعف الكبر له إيحاؤه ، وكلمة ﴿عِنْدَكَ﴾ تصور معنى الالتجاء والاحتماء في حالة الكبر والضعف، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ ، وهي أول مرتبة من مراتب الرعاية والأدب والحقوق بالآبَاءِ يند من الولد ما يدل على الضجر والضييق وسوء الأدب، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ، تلك مرتبة حقوقية تلزم الولد بالإكرام والاحترام، وقوله جلا وعلا: ﴿وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ ، وهي لشغاف القلب وحنايا الوجدان فهي الرحمة ترق وتلطف حتى لكأنها الذل الذي لا يرفع عينا، ولا يرفض أمرا. وكأنما للذل جناح يخفضه إيدانا بالسلام والاستسلام، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾ ، فهي الذكرى الحانية، ذكرى الطفولة الضعيفة يرعاها الوالدان، وهما اليوم في مثلها من الضعف والحاجة إلى الرعاية والحنان، وهو أقدر على جزائهما بما بذلا من دمهما وقلبيهما مما لا يقدر على جزائه الأبناء^(٥)، عن بريدة عن أبيه: «أَنْ رَجُلًا كَانَ فِي الطَّوَافِ حَامِلًا أُمَّهُ يَطُوفُ بِهَا فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ هَلْ أَدَيْتَ حَقَّهَا؟ قَالَ: وَلَا بِزَفْرَةٍ وَاحِدَةٍ»^(٦).

ثم إن الله سبحانه وتعالى يوصي الأبناء بالآباء فيقول جل جلاله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ

تنفض يدك عليهما ، ولما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح ، أمره بالقول الحسن والفعل الحسن ، فقال : ﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ ، أي ليناً طيباً حسناً بتأدب وتوقير وتعظيم ، ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ ، أي تواضع لهما بفعلك ﴿ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ ، أي في كبرهما وعند وفاتهما^(١٤) .

وقد جاء في بر الوالدين أحاديث كثيرة ، منها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ صعد المنبر ثم قال : « آمين آمين آمين » ، قيل يا رسول الله علام ما أنت؟ قال : « أتاني جبريل فقال: يا محمد رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليك، قل : آمين، فقلت آمين، ثم قال : رغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم خرج فلم يغفر له ، قل : آمين، فقلت آمين، ثم قال : رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخله الجنة ، قل آمين، فقلت آمين»^(١٥) ، وقال النبي ﷺ : « من أدرك والديه أو أحدهما ثم دخل النار من بعد ذلك ، فأبعده الله وأسحقه »^(١٦) ، وعن معاوية بن جاهمة السلمي أن جاهمة جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أردت الغزو وجئتك أستشيرك فقال: « فهل لك من أم » قال: نعم ، قال: « فالزمها فإن الجنة عند رجليها»^(١٧) ، ثم الثانية ثم الثالثة في مقاعد شتى قال كمثل هذا القول، وعن خالد بن معدان عن المقدم بن معد يكرب عن النبي ﷺ قال: « إن الله يوصيكم بأبائكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب»^(١٨) ، وعن رجل من بني يربوع قال: أتيت النبي ﷺ فسمعتة وهو يكلم الناس يقول: « يد المعطي العليا ، أمك وأباك ، وأختك وأخاك ، ثم أدناك أدناك»^(١٩) .

والمسلم إذ يعترف بهذه الحقوق لوالديه يجب أن يؤديها كاملة طاعة لله تعالى وتنفيذاً لوصيته جل شأنه، وتتجلى عظمة الإسلام في حفظ حقوق الإنسان إزاء الوالدين حتى وإن لم يكونا مسلمين، وهذه دلالة عظيمة على عدم التمييز الديني في حقوق الناس إذ لكم دينكم ولي دين، وإلزام الابن المسلم أو الابنة المسلمة بحفظ

حقوق والديهم غير المسلمين تنبع من المفاهيم الإنسانية والحقوقية في شريعة الإسلام، فالإسلام له وصاياه العظيمة التي لم تعرف في دين أو نظام أو قانون يحمل هذه الدقة الحقوقية فبين القرآن الكريم حقوق أقرب الأقربين الوالدان وإن كانا غير مسلمين لما لهما من الفضل والحق ولما لهما واجب الحب والكرامة والاحترام والكفالة وما عاناها نحو أبنائهما في طفولتهم.

وهنا نرى لقمان وهو يوصي ابنه ويحثه على ذروة الخير المتعلقة بتوحيد الله وما ارتبط بهما من بر الوالدين وإن كانا غير مسلمين فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مَثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (٢٠)، فبينت الآيات الكريمة أن الصلة الحقيقية في الاجتماع الإنساني هي الصلة في الله، وهي أحق الحقوق وأعلاها وأسامها وما سواها دون ذلك، والرابطة في الله هي العروة الوثقى ولكن الاختلاف في الدين والعقيدة والأمر بعدم الطاعة في خلافها لا يسقط حق الوالدين في المعاملة الطيبة والصحة الكريمة: «إن وصية لقمان لولده وصية الوالد الحكيم الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف، ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً ثم قال محذراً له: ﴿إِنَّ الشُّرْكَ لظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، أي هو أعظم الظلم، ثم قرن بوصيته إياه بعبادة الله وحده بالوالدين، وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين ذلك في القرآن، وقال ههنا: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾، وإنما يذكر الله تعالى عناء الوالدين وتربيتهما لأبنائهم وخصوصاً الوالدة وتعبها ومشقتها في سهرها ليلاً ونهاراً، ليذكر الولد بإحسانها المتقدم إليه، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾، ولهذا قال: ﴿أَنْ اشْكُرْ

لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٢١﴾، أي فإني سأجزيك على ذلك أوفر جزاء . ولكن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولهذا وجوب بر الوالدين قائم ومستمر حكماً وعملاً في شريعة الإسلام، ولكن ليس بالشرك بالله لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾، أي إن حرصاً عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما فلا تقبل منهما ذلك، ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفًا، أي محسناً إليهما»^(٢١)، قال الطبراني في (كتاب العشرة) عن داود بن أبي هند أن سعد بن مالك وقيل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما قال : أنزلت في هذه الآية : ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ ، قال : « كنت رجلاً بَرًّا بأمي، فلما اسلمت قلت : يا سعد ما هذا الذي أراك قد أحدثت، لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي، فيقال : ياقاتل أمه، فقلت : لا تفعلي يا أمه، فإني لا أدع ديني هذا لشيء فمكثت يوماً وليلة لم تأكل، فأصبحت قد جهدت، فمكثت يوماً آخر وليلة لم تأكل، فأصبحت قد جهدت فمكثت يوماً وليلة أخرى لا تأكل، فأصبحت قد اشتد جهدها، فلما رأيت ذلك قلت : يا أمه تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء فإن شئت فكلني وإن شئت لا تأكلي، فأكلت»^(٢٢). هذه طريقة بعض غير المسلمين الذين لا يرضون لأحد أن يكون حراً في اختيار دينه بل يكرهونه على ترك ما يجب أن يدين به الله ويعبد من دون الله الذي لا يملك نفعاً ولا ضرراً ولا بعثاً ولا نشوراً وهو في حاضرنا مشهود ملحوظ خصوصاً مع القوم الذين ينادون بحقوق الإنسان من جهة ويدفعون المجرمين والإرهابيين لقتال المسلمين لأنهم أسلموا لله رب العالمين ، تلك موازين مختلفة ومختلة في قضايا حقوق الإنسان .

هكذا إذاً تنقطع روابط النسب والصهر والدم لأنها روابط دنيوية عارضة غير أصيلة وتبقى رابطة العقيدة لأنها دينية دنيوية أخروية فهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها. ولكن الإسلام حفظ حقوق الوالدين غير المسلمين كما بينتها الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة السابقة، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ

الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ أَنْ تَبْرَهُهُمْ وَتُقَسَّطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ .

ومناسبة نزول هذه الآية ما جاء عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت : قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا ، فأتيت النبي ﷺ فقلت يارسول الله : إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها؟ قال: (نعم صلي أمك) ^(٢٤) ، وعن عامر بن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال : «قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا ضباب وقرظ وسمن وهي مشركة ، فأبت أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها، فسألت عائشة النبي ﷺ ، فأنزل الله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ ﴾ إلى آخر الآية، فأمرها أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها» ^(٢٥) . وقد ورد ذكر الوالدين فيما يزيد عن عشرين موضعاً في القرآن الكريم وفي كثير من أقوال النبي محمد ﷺ وفيها بيان حقوق الوالدين وكذلك في مصنفات العلماء والفقهاء والحقوقيين وغيرهم.

إن كثيراً من غير المسلمين كما يبدو في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لا يهتمون بحقوق الوالدين كما هو الحال في الشريعة الإسلامية مما عرضنا إليه آنفاً خصوصاً مع الوالدين غير المسلمين ، فبرغم أن الإسلام اعتمد الدين على أنه الصلة الأولى بين العباد وأظهرها توحيد الله وطاعته واتباع شرعه وأداء حقوقه، وبرغم أن الإسلام جعل وشيعة الدين والعقيدة هي الرابطة الحقيقية بين الناس وخصوصاً الوالدين، إلا أنه أكد إنسانياً على الرابطة الأسرية في أمور الدنيا مع الوالدين من حسن الصحبة وكرم المعشر وأدب السلوك والتقدير والاحترام وإن اختلف الدين.

ومع ارتفاع الصيحات المنادية بحقوق الإنسان واحترامها ، لم يهتم الكثير بحقوق الوالدين في جانبها الروحي والإنساني والإسلامي ولا حتى بتلك الحقوق الدنيوية التي دعا إليها الإسلام . فكم من دور المسنين ومستشفيات كبار السن والعجزة

والمستشفيات الخاصة بالمرضى من كبار السن لدى بلاد كثيرة من غير بلاد المسلمين تضم الآباء والأمهات وليس من أحد يسأل عنهم ويتفقد حالهم ويخفض لهم جناح الذل من الرحمة؟ وكم من الملاجئ فيها أمهات وآباء يرزحون تحت قسوة المعاملة من القائمين على تلك المؤسسات لأنهم مأجورون، يقول الصحفي الأمريكي جاري واندر: «كما أعجبت بالمكانة التي يتمتع بها كبار السن بين المسلمين، وفي الوقت الذي أجد فيه كبار السن في الغرب وفي بلاد أمريكا قمة الحضارة الغربية المادية المعاصرة يلقي بهم في مؤسسات العجزة، وينبذون فلا يلتفت إليهم أحد، أجد الجد والجدة المسلمين في مركز الأسرة وبؤرتها من حيث الحفاوة والتكريم لقد أحببت ذلك كثيراً»^(٢٦).

كم يتلوى الكثير من الأمهات والآباء حسرة على فراق أولادهم وبعدهم عنهم، كم يتألم الآباء والأمهات من لسعات الحرمان في رؤية أبنائهم، وصدق الرسول الكريم ﷺ حيث قال: «بروا آباءكم تبركم أبناءكم»^(٢٧)، فيا أيها القائمون على تطبيق الجوانب الحقوقية في الإعلان العالمي تعالوا نعمل على تحقيق العالمية مع الشمولية والخصوصية في هذا الجانب، فإن أردنا أن نبرز عالمية هذا الإعلان وجب إكمال نقصه بالمواد التي تقويه وتسندة مما ذكرناه ونذكره من نواقص، فمن المناسب تضمين الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مادة عن حقوق الوالدين، كما جاء في إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الإسلام في الفقرة ج من المادة السابعة وتنص على أن: «للأبوين على الأبناء حقوقهما». ويمكن أن تكون المادة التي تضاف إلى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بهذا النص أو مثله: «الوالدان إنسانان تؤدي حقوقهما من أبنائهم عند حاجتهم وكبر سنهم لما ضحيا به عند تربية أبنائهم، وذلك ليس رد جميل أو معروف، بل أنه واجب شرعي وأمر إلهي يتحقق معه العدل والانصاف والقسط قياماً بحقوقهما». وبهذا تحفظ حقوق هذه الفئة من الناس دون ظلم أو غمط للحقوق وسيأتي مزيد بيان عند حديثنا عن حقوق المسنين في هذه الموسوعة.